زيارة واحدة لا تكفي

عشية زيارة سركيس لدمشق:

مشاكل عالقة أم استهداف للوجود الوطني؟

« ان الزيارة ، وهي زيارة ناجحة وايجابية من حيث نتائجها اسوة بأي زيارة اخرى في الظروف الحاضرة ، لا يمكن ان تؤمن الغايات ، ذلك لان الغايات من التعددية والكثافة واحيانا من الصعوبة بحيث ان زيارة واحدة لا يمكن ان تحل المشاكل ... » ، بهذه العبارات لخص وزير الخارجية اللبناني فؤاد بطرس نتائج زيارته لدمشق بتاريخ ٢٤-٥-٧٨ قاطعا الطريق على كل التكهنات والتوقعات التي ترتبت قبل واثر الزيارة التي قام بها كتمهيد واستكشاف وتحضير للزيارة المرتقبة التي سيقوم بها الرئيس سركيس الى سوريا .

ومن المعلوم ان زيارة سركيس للقاء الاسد في سوريا كان يفترض ان تتم قبل حوالي الشهرين لولا الاحداث التي توالت على لبنان وادت الى ارجائها . الا ان هذه الزيارة كانت على رأس المواضيع التي بحثت بين الرئيس اللبناني والموفد السوري العقيد الخولي بتاريخ ١٥-٥-٧٨ . وبما ان « بعض الامور لا تزال قيد المداولة ... وان هناك عدة امور لا بد من الاستمرار في بحثها ومتابعتها بالنظر للظروف الراهنة وما يمكن ان يحدث من تطورات » . كما ورد على لسان الوزير بطرس فزيارة سركيس لسوريا تبدو كأمر محسوم يوم السبت القادم حسب تقديرات اللواء طلاس وزير الدفاع السوري .

هذا ولم يصدر اثر زيارة بطرس اية معلومات تفصيلية عن المباحثات مع المسؤولين السوريين سوى ان مصادر مطلعة كانت قد ذكرت سابقا : « ان المحادثات ستكون حافلة نظرا الى اهمية القضايا العالقة التي يتضمنها الملف والذي اعد عبر اتصالات مباشرة بين قصر بسترس ووزارة الخارجية السورية » .

وكانت هذه المصادر قد لخصت القضايا العالقة بما يلي :

١ ـ الوضع في الجنوب

٢ ـ وجود قوات الطوارىء الدولية في الجنوب ومهماتها .

٣ ـ اتفاق القاهرة والعلاقات اللبنانية ـ الفلسطينية

٤ ـ « قوة الردع العربية » والمهمات المطلوبة منها في هذه المرحلة وما يمكنها تنفيذه منها في ظل الاوضاع السائدة .

٥ ـ الصيغة النيابية التي انبثقت من بيان لجنة ال ١٣ .

واعربت الاوساط نفسها عن اعتقادها بـ « ان العلاقات اللبنانية ـ الفلسطينية المفترض انها قائمة على اساس اتفاق القاهرة ، هي القضية الاهم في ملف المحادثات » .

وبالرغم من غياب المعلومات التفصيلية ، فجواب الوزير السوري خدام بـ « ان الموضوع الاساسي الذي يجب ان تشد اليه كل الاهتمامات هو موضوع الاحتلال والعمل على ازالته ، فخلق مشاكل لشد انظار الناس الى اهتمامات اخرى من شأنه ان يغطي الاحتلال الاسرائيلي ويخدم استمراريته » يؤكد بأن « المشاكل » لم تحل بزيارة واحدة للوزير بطرس الى سوريا والذي اقتصرت مهمته « على وضع القضايا العالقة المتشابكة على بساط البحث الهادىء الذي سيستكمله الرئيس سركيس في لقائه المرتقب والرئيس الاسد » و « بلورة الافكار والتحديد الاولي للنقاط ذات الاهتمام المشترك والقضايا المصيرية التي تنعكس على وضع البلدين » .

وبناء لهذه النتيجة التي اسفرت عنها زيارة وزير الخارجية اللبنانية والتي ربطت بين زيارته والزيارة المتوقعة للرئيس سركيس ، يتأكد استمرار السلطة « الشرعية » في بحث هذه المواضيع ومحاولة بتها بما يخدم الخط الرجعي اللبناني الرسمي وغير الرسمي حين تسمح بذلك الظروف الداخلية والخارجية .

اذ بعد تعويم الحكومة الحصية والتي شكلت مخرجا سياسيا لتلافي الاحراجات التي يتعرض لها نظام سركيس توجهت السلطة « الشرعية » للبحث مع النظام السوري في امكانية تقنين العلاقات اللبنانية ـ السورية وتنظيم العلاقات اللبنانية الفلسطينية في ضوء الاحتلال الصهيوني لجزء من الجنوب ومهمات قوات الطوارىء الدولية وكيفية اقامة الوفاق اللبناني ـ اللبناني . وتكون بذلك قد تبنت ضمنيا موقف الجبهة اللبنانية ووجدت في الاحتلال فرصة ذهبية للتخلص من الوجود الوطني دون الاهتمام الجدي بكيفية دحر الاحتلال عن طريق تعبئة كافة الطاقات . وهذا التوجه لم يلاق ارتياحا في الاوساط الرسمية السورية على ما يبدو .

وبانتظار زيارة سركيس لسوريا ، فدمشق ترى ان دخول جيشها « قبل تشكيل قوات الردع العربية ، ثم في اطار هذا التشكيل بمهمة واضحة ومعلنة مؤداها تنفيذ مقررات قمتي الرياض والقاهرة التي اعترفت باتفاق القاهرة واعتمدته قاعدة لتنظيم العلاقات اللبنانية ـ الفلسطينية ، ونحن ملتزمون بهذه المقررات » ... اي ان مفعول اتفاقية القاهرة ما زال ساري المفعول .

ويبدو ان سلطة سركيس الشرعية لم تر الاحتلال الا بعين واحدة تنظر بها لجهة واحدة وتقيم كل التطورات ومستقبل الاحتلال الصهيوني على اساسها . فهي لا ترى الا الوجود الوطني وتعمل على الغائه اذا امكن في هذه الفترة بالذات واذا لم يتأمن لها ذلك فالتجميد يصبح مطلبها على ان يكون مقدمة للالغاء في فترة قادمة . وهي تلتقي بهذا عن « حسن نية » او « طيبة قلب » مع الجبهة اللبنانية التي توظف بشكل مستمر الاحتلال في سبيل مصالحها التي تتناقض والوجود الوطني .

والسلطة « الشرعية » بالمقابل تغض الطرف عن الخونة وتتجاهل الرائد المحسوب على الجيش « الشرعي » وممارساته الانعزالية والتي ما زالت ترهب المواطنين الجنوبيين .

والى جانب تذرع السلطة بالاحتلال الصهيوني وضرورة تطبيق قرار ٤٢٥ لجلائه ، تأخذ «الشرعية» بعين الاعتبار الشروط الصهيونية التي ترافقت مع تحديده موعد مزعوم بتاريخ ١٣ من الشهر القادم غاضة الطرف عن ما يسمى بـ « الجدار الطيب » وابقائه مفتوحا دون ان يصدر عنها اي تعليق بعد ان كان التعامل مع العدو الصهيوني يعتبر خيانة وطنية .

وهكذا وظفت السلطة « الجديدة » كل جهودها ليس في سبيل حشد كل القوى من اجل دحر الاحتلال « لان قوة لبنان في ضعفه » ، بل لالغاء او تجميد اتفاقية القاهرة « ليس من اجل نوايا خبيثة بل لتأمين الجلاء عن الجنوب بمساعدة قوات الطوارىء الدولية التي ستمنع اي مسلح من الدخول الى المناطق التي يجلو عنها الاحتلال»!

ولهذا بدأت السلطة بشخص رئيس حكومتها الدكتور الحص باللقاء مع المقاومة الفلسطينية والبحث في اتفاق القاهرة الذي « اصبح يتعلق الان » بالوضع في الجنوب الى اخر ما هنالك . وعلم ان موقف المقاومة المبدئي تركز على نقطتين (التمسك المبدئي بالاتفاقات المعقودة ـ والاستعداد لبحث اية اجراءات عملية مؤقتة تطلبها السلطة اللبنانية بما لا يتعارض مع امن وسلامة الثورة الفلسطينية) .

ومهما يكن من امر المشاورات الجارية ، فقد غاب عن بال سلطة سركيس عن قصد او عمد ان من يجب البحث معه ليست المقاومة الفلسطينية بل الوطنيين اللبنانيين الذين قاوموا الاحتلال ويقاومونه بحدود امكانياتهم المتوفرة . والتعامي هذا عن دور هؤلاء المقاومين يحقق للسلطة هدفين :

١ ـ ان لقاء المقاومين اللبنانيين يعني اعطاءهم غطاء شرعيا لا يمكن ان ترضى عنه دولة « قوة لبنان في ضعفه » لانه يتناقض وسياستها التخاذلية امام العدو (علما بأن هؤلاء المقاومين ليسوا بحاجة لشرعية السلطة طالما استمدوا شرعيتهم من بنادقهم الموجهة نحو العدو المحتل).

٢ ـ ان اللقاء بالمقاومة يعزز اتجاه الدولة والجبهة اللبنانية لتصوير الفلسطينيين وكأنهم يشكلون عقبة في وجه الحلول مما يؤدي الى تأليب الجماهير اللبنانية على المقاومة الفلسطينية .

وبالنتيجة فالنظرة بعين واحدة والتعامي واغفال اعتبارات عديدة تفوق في اهميتها من الناحية الوطنية اتفاق القاهرة ، لا تدل الا على سير السلطة الشرعية بنفس نهج الجبهة اللبنانية ولكن بطرق ديبلوماسية ومرونة اكثر مطلوبة من « الحاكم » لا تكون على حساب تطلعات السلطة واهدافها .

و « الليونة » التي تبديها السلطة تعود لعدم امتلاكها بعد لمؤسسة قمعية متينة ، وللظروف العربية الراهنة .

فالسلطة آلتي يعاد بناؤها من جديد ، على نفس اسس النظام الرجعي القديم ببناه الاقتصادية والاجتماعية والذي افرز ازمة عامة قامت على اساسها الحرب الاهلية في لبنان والتي لم تنته بعد حتى الان ، لا يمكن لها في نهاية الامر لضبط هذه الازمة مؤقتا الا باعتماد القمع وسيلة لقمع اي تحرك جماهيري يهدد النظام في اسسه ويهدد بتكرار تجربة حرب السنتين .

وهذا ما يفسر امانة سركيس ضمنيا لخدمة خط الجبهة الفاشية المعلن الذي لا يتأثر بالظروف العربية بنفس النسبة التي قد يتعرض لها سركيس ونظامه .

من هنا لا يمكن الفصل بين تحركات «الشرعية» اللبنانية للبحث في اسس العلاقات اللبنانية ـ الفلسطينية من جديد ، وبين طروحات الجبهة الفاشية وممارساتها ضد الوجود الوطني بهدف سحقه . فالطرفين يسيران على نهج القضم خطوة ـ خطوة بما تسمح به الظروف .

ومن هنا يصبح اي تنازل يقدمه الوجود الوطني لصالح اي طرف رجعي وخاصة السلطة «الشرعية» مرفوضا لانه بذلك يهدد هذا الوجود ويعرضه للتفسخ والتراجع مما يسهل عملية ضربه ، لان الرجعية لن تكتفي بتنازل معين الا من اجل طلب تنازل اكبر كما تعلمت من زميلتها الرجعية الاردنية التي استطاعت ضرب الوجود الوطني في سنة ١٩٧٠ . وتصبح ايضا المراجعة النقدية للسياسة الوطنية عامة من الح المهمات مع تحديد مهمات مرحلة ما بعد المراجعة وكيفية تنفيذها .

الاستعمالات "الطائفية" في التعبئة المناشية

● يبدو ان مسلسل « ظهور العذراء » وسائر القديسين صار يوميا في مناطق السيطرة الفاشية، واخبار « العجائب » هذه هي مادة دسمة لاجهزة الاعلام الانعزالية التي سرعان ما تلقفت «النور» الذي ظهر « فجأة » ـ رغم المعرفة المسبقة به ـ في شارع المرأة الشهير في عين الرمانة واتخذت منه نقطة انطلاق جديدة في حملتها التعبوية الطائفية ضد اعداء المسيح والمسيحية و ... لبنان ..

وهذا المسلسل الذي ابتدأ بعد « توقف » الحرب الاهلية ـ مع حفظنا لكامل التراث الطائفي للجبهة الانعزالية ـ « بظهور » القديس شربل على احد المتاريس و « شفائه » لبعض مقعدي مصح « بيت مري » لمشوهي الحرب لم ولن ينته ، فالحاجة اليه تتزايد يوما بعد يوم خاصة بعد ان توقفت المعارك عن تشكيل حالة الهاء للجماهير المسيحية الفقيرة والمتوسطة في مناطق الانعزاليين وبعد ان اخذ هؤلاء يشعرون حقا ان « النور » قد « يشفي » مقعدا مثلا ، ولكنه عاجز عن انزال سعر كيلو البندورة فكيف بالفاكهة . في نفس الوقت الذي تقوم فيه عصابات الاحزاب الانعزالية بفرض الخوات وارتكاب السرقات مزينة صدورها « بصلبان » تكاد تلوي رقاب حامليها لثقل وزنها.

وهذا التهييج الطائفي ليس بعيدا عن الاساس النظري للاحزاب الانعزالية وخاصة تلك التي تحمل اسماء طائفية علنية « الرابطة المارونية » مثلا . بل ان التفكير الطائفي جزء لا يتجزأ من استراتيجيتها للبقاء وتخطيطها لاحكام سيطرتها على مجمل الجماهير « المسيحية » في لبنان باختلاف انتمائها الطبقي .

ثم ان « لظهور النور » في اعلام الفاشيين استعمالات اخرى منها التحديد الزمني للمعارك ، كأن تطلب « العذراء » مثلا من اهالي عين الرمانة عدم مغادرتهم منازلهم في الاول من حزيران لان « شيئا مهما وغير متوقع سيحدث » ولا تنسى ان تحدد لهم ٥ حزيران كيوم مؤكد « لانتهاء المحنة » . ولا عجب اذا « ظهر النور » مستقبلا على منتوجات احد المصانع الذي يساهم في تمويل اجهزة الاعلام الفاشية .